

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[315] السحرة). بعد وفاة سليمان عمدت جماعة إلى إخراج هذه الكتابات، وبدأوا بنشر السحر وتعليمه. واستغلت فئة هذه الفرصة فأشاعت أن سليمان لم يكن نبياً أصلاً، بل كان يسيطر على مملكه ويأتي بالأُمور الخارقة للعادة عن طريق السحر! مجموعة من بني إسرائيل سارت مع هذه الموجة ولجأت إلى السحر، وتركت التوراة. عندما ظهر النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت آيات القرآن مؤيدة لنبوة سليمان، قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون من محمد يقول: سليمان نبي وهو ساحر! وجاءت الآية ترد على مزاعم هؤلاء وتنفي هذه التهمة الكبرى عن سليمان (عليه السلام) (1). الآية الأولى إذن تكشف فضيحة أخرى من فضائح اليهود وهي إتهامهم للنبي صلى الله عليه وآله بالسحر والشعوذة، تقول الآية عن هؤلاء القوم: (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ عَلَىٰ مُلْكِهِمْ لِيَنْصُرُوهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ فَاطْمَئِنُوا بِهِمْ لَا يُصْلِحُ عَصَاهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (سورة النحل: 102). والضمير في "وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" قد يعود إلى المعاصرين للنبي، أو إلى أولئك اليهود المعاصرين لسليمان، أو لكلا الفريقين. والمقصود بكلمة "الشَّيَاطِينَ" قد يكون الطغاة من البشر أو من الجن أو من كليهما. ثم تؤكد الآية على نفي الكفر عن سليمان: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) (سورة النحل: 102). فسليمان (عليه السلام) لم يلجأ إلى السحر، ولم يحقق أهدافه عن طريق الشعوذة: (وَلَا كُنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ). هؤلاء اليهود لم يستغلوا ما تعلموه من سحر الشياطين فحسب، بل أسأؤوا _____ 1 - سيرة ابن هشام، ج 2، ص 192. ومجمع البيان في تفسير الآية، مع قليل من الاختلاف.